مجلة ميلاف للبحوث والدراسات
ISSN : 2392 - 5361
العدد الخامس/ جوان 2017

Mila Univ center. Publish. Co.

نقد النقد والبعد الإبستيمولوجي

Criticism of criticism and epistemological dimension

أ. بوساحة سهيلة

جامعة البشير الإبراهيمي- برج بوعريريج- الجزائر

تاريخ الاستلام: 2016/12/01 تاريخ قبول النشر: 2017/05/25

الملخص :

تهدف هذه الدراسة للكشف عن المستوى الإبستيمولوجي الذي يبحث فيه ناقد النقد، خلافا لناقد الأدب الذي يبحث في المستوى الجمالي، وكذا توضيح كيفية اشتغال ناقد النقد، والذي لا يمكنه ذلك في غياب خطاب نقد الأدب؛ إذ هو ملزم بمعاينة المساءلة النقدية التي أعدّها الناقد الأدبي واخضاعها للمستوى الابستيمولوجي، من خلال مساءلة المنهج –الأداة والإجراء– الذي اتبعه ناقد الأدب، مما يعني أنّ ناقد النقد مطالب بالقبول المبدئي لتصورات ناقد الأدب المنهجية، ولا يمكن له أن يُعاين دراسة ممنهجة بالاستعانة بمنهج، لأنّه مهمته تأمل المنهج من أجل ملاحقة الناقد في جميع مراحل تقديم تصوره المعرفي، إذ ينطلق ناقد النقد من فكرة أنّ خطاب النقد يحتاج إلى توضيح ومحاورة وإضاءة، ويسعى جاهدا لتقييم معارف ناقد الأدب من خلال وصف قضاياه النقدية وتأملّها وتقديم مسح نقدي لتصوراته المنهجية.

الكلمات المفتاحية: النقد، نقد النقد، الاستجابة، المنهج، المستوى الجمالي والمعرفي.

Résumé:

Cette étude vise à révéler le niveau épistémologique où la critique critique à la recherche, contrairement à la littérature critique qui se penche sur le plan esthétique, ainsi que de préciser comment le fonctionnement de la critique critique, et qui ne peuvent en l'absence de critique de la parole de la littérature, il est tenu d'examiner la responsabilité de trésorerie préparé par le critique littéraire et les soumettre niveau Alabstimologi, grâce à l'approche de responsabilisation -alodah et Alajra- suivi d'une critique de la littérature, ce qui signifie que la critique critique exige l'acceptation des perceptions initiales de la littérature méthodologique critique, ne pouvait souffrir d'une étude systématique en utilisant la méthodologie, car sa mission espère que le programme afin de poursuivre le critique à toutes les étapes T Ancien conçu connaissance, comme une critique de critique découle de l'idée que le discours de la critique doit être clarifiée et le dialogue et l'éclairage, et cherche à évaluer la connaissance du critique de la littérature en décrivant les questions monétaires et réfléchir et donner une perception de la méthodologie d'enquête critique.

Mots-clés: *critique, critique de la critique, la réponse, programme, esthétique et niveau cognitif.*

مقدمة:

يُقدم الناقد الأدبي قراءة نقدية لأدب مرتبط بفترة زمنية معينة، مما يُدخل ممارساته النقدية ضمن القراءات المحكومة بشروط تاريخية ومعرفية خاصة، حيث تُتيح فرصة لناقد آخر يقرؤها بشروط تاريخية ومعرفية مغايرة لشروطهم ليكشف عن تفاعله المعرفي مع هذه المتون النقدية، على اعتبار أنّ نقد النقد قراءة ابستيمولوجية للنقد تستعيد المبادئ الأساسية للابستيمولوجيا بالتنصيص عليها وتوضيحها؛ مما يعني أنّ لوضوح القراءة التي قدّمها الناقد الأدبي واستيفائها لجملة القواعد والقوانين المعرفية والمنهجية التي تضبطها، يمكن لناقد النقد التفاعل والاستجابة من خلال التلقي الحر للخطابات النقدية المقروءة وأن يقوم بالمساءلة النقدية مستعينا بآليات القراءة والتلقي التي جعلت المعرفة المتصلة بالأدب، وهي النقد، أقرب إلى الضبط ومستندة إلى فكرة أنّه وبمرور القارئ عبر الرؤى المتباينة التي عرضها النص، وربط مختلف الآراء والأنماط ببعضها البعض أن يبدأ في تفعيل العمل، وبالتالي في تفعيل ذاته أيضا من خلال انطلاقه من المنظور النقدي لناقد الأدب، فناقد النقد يجد نفسه منقادا إلى اتخاذ موقف محايد في معالجته لشتى التصورات المنهجية مع

القبول المبدئي باختيارات نقاد الأدب المنهجية، وهكذا لن يكون من شأنه أن يلوم الناقد على منطلقه المنهجي الذي يُعلن عن تبنيه صراحة أو بطريقة ضمنية، غير أنه بعد ذلك سيوظف جميع معارفه عن المنهج المتبع من أجل ملاحقة الناقد في جميع مراحل تقديم تصوره الخاص سواء في مرحلة تقديم التصوّر أم في المرحلة التطبيقية، وستكون هذه فرصة لجعل الدراسة تحتفظ بحيويتها دون أن يباشر العمل المنقود بآليات وأدوات المنهج الذي حدّده الناقد الأدبي، كل ما يفعله ناقد النقد هو عملية وصفية لشتى التصورات مع القبول بها، على اعتبار أنّ النقد يُضبط بفعل ما يتوسل به أصحابه من أدوات دقيقة.

النقد ونقده – المسار والتقاطع–:

انفتح نقد النقد باعتباره نشاط معرفي، على نظريتي القراءة والتلقي وتداخل معهما، ومن هنا تُصبح الدعوة إلى قراءة القراءة ونقد النقد من أجل فسحة ديمقراطية ما يتمتع فيها القارئ بالكثير من الحرية، نظرا للسلطة التي أعطتها له نظريات القراءة والتلقي، وبهذا يتمكّن ناقد النقد باعتباره قارئ، من تقديم رؤية شاملة للنقد موضوع الدراسة نظرا لأنّ كلّ معرفي تتشعب مرجعياته وخلفياته بغرض الإحاطة الشاملة بكافة الروافد الداخلية والخارجية، التي تغذي النص وترعاه حتى يظلّ متوهجا محافظا على الجوهر الجمالي الذي كان يتمتع به قبل الخضوع للمعالجة، هو قراءة للقراءة، تهدف إلى تقييم الاستجابة الجمالية الأولى بوصفها تحقيقا للعمل ذاته، إذ يوجد طرازين من النقد: النقد الذي يدرس القيم الجمالية غاية أخيرة، والنقد الذي يدرس القيم الجمالية وسيلة للوصول إلى قيم أخرى تعتبر أسمى، وهو نقد النقد الذي يهدف إلى الوصول إلى القيم المعرفية، وتأكيد الارتكاز على الاستجابة الجمالية لإحداث استجابة معرفية يتطلبها نقد النقد؛ على اعتبار أنّ ناقد الأدب يرتكز على المعرفي، من خلال الاستعانة بمنهج نقدي، للوصول إلى الجمالي، وناقد النقد يرتكز على الجمالي للوصول إلى المعرفي، مما يعني أنّ نقد النقد استدعته الطبيعة الجمالية للمعنى والدائمة التهديد بالتحول إلى تحديد منطقي، أي إلى مبهم، فيصبح الجمالي في لحظة ما منطقيا في اللحظة التالية، فمن المحال على معنى أن يظل تأثيرا جماليا إلى ما لانهاية، وسيكتسب المعنى، مع قراءة القراءة، تأثيرا معرفيا، إذ أنّ المعنى لا ينجلي إلا في القراءة وبحسب الاستجابة، وهذا ما يمكن اعتباره أكبر مبرّر لظهور خطاب نقد النقد الذي استدعته التطورات الحاصلة في النقد الأدبي وظهور النظريات والمناهج التي فرضت نفسها على الناقد، وحاول استثمارها، وقد ترتب عن ذلك

الخلط والاختلاط، وشاعت غربة لغوية ومفاهيمية وإجرائية واستقبالية بين النقاد، وبينهم وبين المبدعين كما بينهم وبين المنقود، ولن تحل هذه الإشكالية إلا بخطاب نقد النقد باعتباره العمل الذي يُشير إلى نقد آخر، وهذا بدوره لأنّه موضع التحليل يمكن أن نسميه نقد غاية، لفك الغربة الاصطلاحية والمنهاجية والأداتية التي يعاني منها النقد، وما يصنف في نقد النقد يكون لغايات تعليمية خالصة؛ مما يعني أنّ مجال اشتغال نقد النقد واسع يتضمن في اشتغاله النقد والأدب، خلافا للنقد الذي يتخذ من الأدب فقط مجال اشتغاله وينشد الغاية الجمالية، في حين ناقد النقد من خلال نقد النقد ونقد القراءة تعلّم واكتسب معرفة استنادا إلى المعرفة التي توصّل إليها ناقد الأدب.

نقد النقد قراءة مفككة للمقروء وبانية له من جديد، متأملة في جمالياته ومحاورة لمحمولاته وأطروحاته، توسلا لتقريبه من قارئ جديد، شأنها شأن أية قراءة أخرى تُعوّل على إستراتيجية التفكيك والبناء وتنتج عن طريق استثارة الحس الابستيمولوجي للقارئ، إذ تُعتبر القراءة الناتجة عن استجابة معرفية قراءة ممنهجة؛ لأنّ المجال الابستيمولوجي الذي تصدر عنه يجعل منها قراءة متنوعة ومتعددة، كما يُعبّر عن طموح هذه القراءة في الانتماء إلى ذلك الكل المنهجي الذي تنصهر في بوتقته سائر التوجهات والاختيارات النقدية التي ميزت نظرية النص عبر حلقات تطوراتها المتلاحقة، ويكون نقد النقد منطوق للنتاج المنقود عن طريق إعطاء فرصة للخطاب النقدي ليخرج من نطاق نظرة الذات الضيقة، إلى ذات قارئة أخرى بخبرات قرائية مغايرة بالضرورة؛ إذ يتفق نقاد الحداثة على درجة الإبداع التي تتحقق للميتانقد الذي يستلزم أن يكون الإبداع الناتج معرفي، يحتاج قارئ نقدي يفك المغاليق الابستيمولوجية للنص النقدي، على اعتبار أنّ نقد النقد إستراتيجية تستوفي إنتاج صورة متغايرة لحالة الموضوع المنطلق، مغايرة للرؤى المعرفية التي توصل إليها ناقد الأدب؛ ذلك أنّ جوهر خطاب النقد ومعناه ليسا وليدي النص، بقدر ما هما وليدي التفاعل الداخلي بين أجزائه وتصورات القارئ؛ إذ ينطلق الناقد من قضايا الناقد الأول وآلياته وإجراءاته حيث يتفاعل معها، استنادا لخبراته وتصوراته المعرفية التي يملكها عن نفس تصورات الناقد الأدبي، ومن ثمّ نجد ناقد النقد مطالب بأن يُنتج مقولات نقدية ومعرفية مختلفة عن مثيلاتها التي يحتويها خطاب النقد المنطلق منه.

اعتبار نقد النقد إستراتيجية لا يعني أنّه يهدف إلى تقويض النقد أو إعطاء بديل نقدي، أو يريد أن يدحضه ويحتل مكانه، وإنّما ينطلق منه للقيام بممارسته، وهو بهذا لا

يسعى إلى إقصاء الطريقة النقدية التي قيّم بها الناقد الأول النص الأدبي، وإنّما إعادة صياغة للمقولات النقدية التي صاغها الناقد الأدبي، ولأنّ نقد النقد قراءة واعية بخطواتها وباختياراتها المنهجية، الأمر الذي يتيح لها إمكانية التجلي في تمظهرات وصيغ متنوعة تبعا لنظام الخطاب الذي تتخذ منه موضوعا لاشتغالها؛ لأنّها لا تستعمل نفس آلية القارئ الأول وبالتالي ستكون قراءة مغايرة، لكن لا يُفهم من هذا أنّ نقد النقد مطالب بأن يكون اختلافا مع المنقودين، ولكن من الأمثل أن يكون إضاءة لأفكارهم وتأصيلا لمصادر معرفتهم وتجذيرا لأصول نزعاتهم النقدية، وهذا يدخل ضمن نقد النقد التنظيري الذي يسعى إلى التأصيل والتجذير المعرفي، ولقد أصبح النقد حقلا ملائما لاستنباط المنطلقات التي ينبثق منها الجهاز المفهومي للناقد، ثم الوقوف على نظام الخطاب النقدي وخصائصه من خلال مقاربة ناقد النقد المستوى التطبيقي للنقد حتى يتأكد من سلامته الأدائية وكفاءته الوظيفية، من حيث قدرة آلياته على استيعاب المعطيات المقروءة تحليلا وتفسيرا وتقييما، ومن حيث قدرة إجراءاته على اقتناص الإشكاليات الكلية لهذه المعطيات وليس جزئياتها، مما يعني أنّ النقد في حد ذاته يحتاج إلى ممارسة نقدية؛ أي عملية تمحيص أدوات الناقد وفحص مسلماته ومصادراته الأساسية كل فترة من الزمن وإرهاف معرفته بما يدور في هذا الحقل المعرفي ضمن مختلف الثقافات الإنسانية.

أنتج الناقد الأدبي من منظور نظريات القراءة والتلقي خطابا نقديا افترض استجابة نتيجة تلقيه، إذ تتغير استجابة القارئ مع النص النقدي مقارنة بالاستجابة التي يحدثها النص الأدبي، فالقارئ لما قارب نص أدبي واستعان بآليات مختلفة مكنته من توصيل استجابته الجمالية التي أحدثها تفاعله مع النص إلى قارئ ثانٍ تلقى استجابته وولّدت لديه استجابة معرفية/ابستيمولوجية نتيجة تلقيه خطاب معرفي وليس جمالي؛ إذ يُؤدي التأثير الجمالي إلى إعادة بناء التجربة، وبهذا يكون الناقد الأدبي قد أتاح فرصة لناقد آخر حتى يتفاعل مع نص نقدي هو بدوره متفاعل مع نص أدبي، وتدخل هذه المساءلة النقدية التي استدعتها الاستجابة الابستيمولوجية ضمن ما يصطلح عليه: نقد النقد؛ على اعتبار أنّه خطاب نقدي يحاول الإمساك بتلابيب استجابة القراءة، وهي استجابة معرفية بإمكانها تفعيل خطاب النقد، لأنّ ناقد النقد يحاول استدراك ما فات الناقد الأدبي، غير أنّ من الباحثين من يرى أنّ نقد النقد مغامرة وإنقاص من قيمة النص المنقود، وأنّ ناقد النقد لو أن يكون أكثر ذكاءً أن يبرع في مغامرة نقد الأدب بدل أن ينقد النقد وهي مخاطرة غير مفيدة،

ومن ثمّ يترك للناقد الأدبي الحرية في التعامل مع النصوص الإبداعية دون أن يكون له من يُحاكمه. ويؤكد النقاد أنّ الكتابة بنوعيها الإبداعي والنقدي مغامرة ونقد النقد هو مغامرة أكثر خطورة، ويحذّر مختلف النقاد من الخوض في ممارسة نقد النقد نظرا لأنّ ناقد النقد مطالب بأن يقف على كل الرؤى والمواقف التي كشف عنها ناقد الأدب ويتفاعل معها، مما يُصعّب مهمة القراءة على الناقد ويوقعه في الالتباس وتختلط عليه المواقف، وما ظنّ أنّه يراه جيدا لم يعد أمام ناظريه، وغير أنّ هذه الإشكالية أو الصعوبة تُصيب ناقد النقد غير المتسلّح والناقص المعرفة بآليات القراءة التي استعان بها الناقد الأدبي، أما ناقد النقد الحائز للقدرة المعرفية يستلزم امتلاكه القدرة على محاكمة النقاد من حيث التزامهم بالأصول النظرية للمنهج المختار أو عدم التزامهم بها، لكن يُفترض فيه أن يكون أكثر معرفة من الناقد، فعليه أن يُلّم بجميع أصول المناهج والفروق الحاصلة بينها، إلاّ أنّ الحصول على هذه القدرة المعرفية في مجال نقد النقد ليس بالأمر الهيّن فهو مهمة شاقة لكن بإمكان الناقد امتلاكها.

منهج ناقد النقد:

ينطلق ناقد النقد من فكرة أنّ الناقد الأدبي قد ترك في نصه لاحسم معرفي ومنهجي وأداتي، وهي المستويات التي يلحقها التغيير، فالناقد ملزم بأن يُخضع تلك المقاربات إلى التحليل الابستيمولوجي والتأريخي، نظرا لأنّ مناهج النقد وأصوله ليست قوالب جامدة، ودرجة استيعاب مبادئها وآلياتها ليست واحدة فهي تتفاوت بين النقاد، الأمر الذي تحتاج معه الدراسات الممنهجة مساءلة تستهدف مستواها المعرفي الابستيمولوجي. وناقد النقد مطالب بأن يتخلص من فكرة أنّ النص المنقود فيه تقصير ويسعى جاهدا إلى إضاءة هذه الجوانب والتحاور معها ومطلوب منه أن يُمارس على واضعيها وممارسيها ما يُدعى بعلم اجتماعيات المعرفة؛ أي يحاول إيجاد مبررات لناقد الأدب الذي استعان بمنهج نقدي وحاول استثمار آلياته الإجرائية للوقوف على معرفة، فيكون المنهج المُتّبع في هذه المساءلة منهجا وصفيا تحليليا يهدف إلى عرض المفاهيم والقضايا وتمحيص دقتها وصحتها ومدى فعاليتها من خلال وصف بنية القضايا النقدية التي عالجها الناقد الأدبي وتأمُّلها عن طريق مسح نقدي للتصورات المنهجية التي قدّمها ناقد الأدب والقبول المبدئي بها، وبهذا يصبح نقد النقد تصحيحا للنقد من داخل النقد الأدبي؛ ذلك أنّ ناقد النقد متخصص في تأمل مناهج النقد الأدبي سواء في جانبها النظري أم التطبيقي، وهو مطالب

بأن يتأمل المنهج الذي تأَمل به الناقد الأدب، على اعتبار أنّه متخصص في تأمل النص الأدبي، وإذا ما كان قد اتّبع الحرفية المنهجية واستوعب مبادئ هذا المنهج أو أخلّ بها، لأنّ المناهج إنّما تصلح وتفيد حينما تتخذ منارات ومعالم ولكنها تفسد وتضر حين تجعل قيودا وحدودا، فيجب أن تكون مزاجا من النظام والحرية والدقة والابتداع، ولا يتأتى لها ذلك إلاّ عن طريق الاستيعاب الكلي لمقولاتها من قبل الناقد وإتباع خطواتها بانتظام وتحري الدقة والموضوعية، لأنّ المنهج سليل العلم.

الوعي النقدي هو الذي فتح المجال لظهور نقد النقد، على اعتبار أنّ نقد النقد هو فحص لما قد يتضمنه الخطاب النقدي من شعرية من خلال البحث عن مدى استيفاء الخطاب النقدي للشروط التي تجعل منه خطابا نقديا، وهو فحص للمنهج وآلياته والكيفية التي طُبّقت بها للوقوف على كيفية استثمار الناقد الأدبي لآليات المنهج الذي اتبعه وهل اتبع الحرفية المنهجية أو أخل بأحد المبادئ حتى يستدرك ناقد النقد هذا النقص ويُقيّم المستوى المعرفي للناقد الأدبي الذي بدوره يُقيّم المستوى الفني للخطاب الأدبي، على اعتبار أنّ النقد الأدبي مقاربة للنص تهدف إلى استخراج الوظائف المضمرة داخله وتصنيفها والتعرّف على العلاقات الكانة بين هذه الوظائف، هذه المقاربة تحتاج إلى مقاربة أخرى يُمثلها نقد النقد الذي يأتي في مرحلة تستلزم أن تُسبق بمرحلتين: وجود خطاب الأدب وخطاب نقده، وفي هذا تأكيد على أنّ للعمل الأدبي قطبان يمكن أن نطلق على أحدهما القطب الفني والآخر الجمالي، والقطب الفني هو نص المؤلف، والقطب الجمالي هو عملية الإدراك التي يقوم بها القارئ، والقطب الثالث معرفي ناتج عن تأمُل الناقد للقطب الجمالي. وفهم الممارسة النقدية هو الحافز وراء ناقد النقد للقيام بنقد النقد، إذ تسمح هذه الممارسة باعتبارها قراءة وإعادة قراءة وكتابة عن نقاد آخرين تعليم الناقد بنفسه بوصفه ناقدا، وهذه إحدى ثمرات دراسة النقاد الآخرين، يشعر بها ناقد النقد ويُثري بها معارفه لأنّه يُعاين المستوى المعرفي الذي يُمثله المنهج النقدي بعد اختيار نصوص عدد قليل من كبار النقاد فقط وفك رموز مفاهيمهم الفردية عن العالم ونظرياتهم عن الأدب وقوائم قيمهم وأساليبهم؛ أي أنّ ناقد النقد يصنع مع النقاد ما يصنعه النقاد مع الشعراء من خلال تتبعهم ومحاولة تقييم معارفهم ومدى استيعابهم لآليات المنهج الذي أُتخذ كأداة إجرائية مع اختلاف المتن المتخذ للدراسة؛ إذ يتخذ نقد النقد من الممارسة النقدية مجال اشتغاله خلافا للنقد الأدبي الذي يُسائل خطاب الأدب ويُحاوره محاولا إضاءته، والمشتغل بخطاب نقد

النقد هو ناقد بإمكانه ومن خلال العملية النقدية أن يحاور الأدب كما يحاور النقد من خلال محاورته الأدب مستعينا فيها بمنهج نقدي له آليات ومبادئ يستلزم تطبيقها، الأمر الذي تحتاج معه الدراسات الممنهجة مساءلة تستهدف مستواها المعرفي الابستيمولوجي، وبهذا يصبح نقد النقد تصحيحا للنقد من داخل النقد الأدبي، يُعاين المنهج ومدى استيعاب الناقد لآلياته وكيفية استثمارها، مما يعني أنّ الاختلاف بين الناقدين تتحكم فيه نوعية الاستجابة ودوافع الناقد لإجراء المقاربة النقدية؛ فناقد الأدب يبحث عن الجمالية التي تتأتى من الفنية أما ناقد النقد فدوافعه معرفية تتجلى في البحث في المستوى الإبستيمولوجي، فهوملزم بأن يُخضع تلك المقاربات إلى التحليل الابستيمولوجي بينما الناقد الأدبي يُخضع الأدب للتحليل الجمالي الاستيتيكي؛ فناقد النقد بدل أن ينقد عملا خياليا سوف ينقد عملا هو بدوره ينقد عملا خياليا، لذلك يختلف المتن الذي يتخذه كل من الناقدين لاختلاف مستويي التحليل والمعاينة.

لا يستعين ناقد النقد بمنهج نقدي لمقاربة المساءلة النقدية التي قام بها الناقد الأدبي، قبل أن يُقدّم مسحا معرفيا يُعينه فيه الوصف، وصف المنهج الذي اتبعه ناقد الأدب، كما لا يمكنه أن يختار منهج الدراسة قبل أن يطلّع على المنجز النقدي الذي يتخذه موضوعا لنقده، وهو في هذا يختلف عن الناقد الأدبي الذي يمكنه أن يختار المنهج قبل الإطلاع على النص الأدبي، ففي نقد النقد الدراسة المراد مقاربتها هي من تفرض المنهج، أما أن يلجأ ناقد النقد إلى دراسة منهج بنفس المنهج أو بغيره ودراسة نظرية بنظرية عندئذ سيبتعد عن تحقيق القدر الضروري من الموضوعية في تحليلاته وأحكامه النقدية وتصعب عليه الدراسة المعدّة من أجل تأمل منهج ناقد الأدب، فالناقد الأدبي هو الذي يُحدّد المنهج النقدي وناقد النقد يُبقي على نفس المنهج المتبّع ويقوم بعملية وصف بنائي لأدواته وإجراءاته ويلاحق الناقد معرفيا ليقيّم تحليلاته وأحكامه، وتكون دراسته مغايرة للدراسة التي قدّمها ناقد الأدب. تتم ممارسة نقد النقد من خلال تفكيك المقروء وإعادة بنائه من جديد، والتأمل في جماليته ومحاورته، ويعتبر النقد الأدبي من أهم المجالات التي خبرت فيها المعرفة أدواتها المنهجية المستحدثة مما ساعد في استحداث نقد النقد كحقل معرفي جديد يُحاول استثمار أدوات معرفية حديثة في مقاربة خطاب النقد، وقد تأتى لخطاب نقد النقد أن يستفيد من تكنيك التجزئة والتشويه الذي بدأه فنانو الحداثة، وساعد هذا التكنيك الناقد التفكيكي في فك عمله النقدي ذاته وأنظمته دون الاستعانة بآليات وأدوات مغايرة للأدوات

التي استعملها الناقد الأول، وبهذا تكون ممارسته النقدية نتاج التجاوب الذي يقع بين رؤيا عالم القارئ ورؤيا عالم النص المقروء.

على ناقد النقد أن يكون الملاحظ المستغرق الذي يتخذ من الملاحظة والاستغراق مبدأ له، وعلى وفق هذا المبدأ يحاول القارئ الناقد بدلا من أن يعتذر من ظهور الحوافز عندما لا تكون مقصودة على نحو واع، أن يفصح عن حوافزه للمعرفة بوصفها عقلنة لمجاهرته بها مما يعني أنّ النقد يحتاج إلى القارئ الناقد الفرد الواعي بأغراض النقد وحوافزه الذي بإمكانه توسيع نطاق الخطاب النقدي ويضمّنه جهود نقدية من خلال الإضافات والإضاءات ويدعّمها بآراء نقدية مثل الناقد الأدبي، وبالتالي يمكن للنقد الأدبي أن يدخل مع نقد النقد عصرا جديدا ومرحلة جديدة بتغيّر نظرة الذات إليه أو تحديقها فيه، ونظرا لأنّ النقد يخرج بجملة من العلاقات من خلال معاينته للنص الأدبي فعلى ناقد النقد أن يهتم بمراجعة هذه العلاقات وتقييمها في ضوء نظريات نقدية أو في ضوء المنهج النقدي الذي استعان به الناقد الأدبي ويجب الإشارة إلى أنّ النص النقدي من حيث إنّه يقع داخل دائرة الأدب عليه أن يكون غير قابل للقراءة بنفس الدرجة التي قرئ بها النص الأدبي، لأنّ توحيد آليات النقد ونقد النقد ستؤدي حتما إلى نفس النتيجة، الأمر الذي يتطلب انتفاء إحدى الخطابين وتراجعه لحساب الآخر، لأنّ قراءة النقد ليست اختيارا بيّنا لمنهج نقدي بعينه، مثلما أنها ليست طريقة ديداكتيكية متعالية عن ظروف وخصوصيات الانجاز، وإنّما هي قراءة تتموضع بوعي استنادا على الموضوع المنطلق منه؛ أي أنّ ناقد النقد مطالب أن ينحصر في دائرة النشاط الخلاّق للكاتب وللعمل الذي أبدعه الكاتب ولإعادة خلق العمل نفسه في أعماق القارئ. لكن لا يفهم من هذا الانحصار المعرفي أنّ ناقد النقد يسعى إلى إثارة قضايا النقد ذاته بقدر ما يسعى إلى الكشف عن ضوابط العملية النقدية نفسها، إذ ينطلق من القضية التي أثارها الناقد الأدبي ليتمكّن من الوقوف على جملة القواعد والقوانين التي تضبط هذه القضايا؛ مما يعني أنّ نقد النقد هو فحص لما قد يتضمنه الخطاب النقدي من شعرية، فيتحول بفعل ذلك إلى موضوع للنقد بعد أن كان في مبدئه خطابا ناقدا، الأمر الذي ينتفي معه أنّ نقد النقد اختلاف مع النص المنقود ويحاول إعادة قراءة الخطاب النقدي بآليات مغايرة لآليات الناقد، وإنّما هو يعاينها ويحاول أن يقف على مدى استيفائها للشروط التي تحكمها ليكشف عن مدى وعي الناقد بها، لهذا لا يمكن لناقد

النقد أن يختار المنهج النقدي مسبقا ويعاين به العمل المنجز، ولا يستخدم المناهج المعدّة لدراسة الأدب في دراسته للنقد.

لقد حدث خلط على المستوى المفاهيمي لدى ناقد النقد سببه أنّ نقد النقد قد خرج من صلب النقد الأدبي مما أدى بالمشتغلين إلى استعمال مناهج نقد الأدب، فالنقد لا يقرأ نفسه بنفسه أو بأدواته المعرفية، فذلك أشبه –في استحالته– بتشبيه الشيء بنفسه، كما يقول البلاغيون القدماء، نقد النقد له كيان معرفي خاص به ومن غير المناسب مقاربة النقد بمناهجه وأدواته المعرفية قبل قراءة النص موضوع الدراسة، ويجوز استخدام المنهج في تفكيك النص النقدي بنفس الطريقة التي يفكك بها النص الأدبي، لكن لا يفهم أنّه اقتراح لإتباع مناهج النقد الأدبي كآلية لنقد النقد، وإنّما القول بإمكانية إتباع الخطى المنهجية المتبعة في تفسير النص الأدبي، لكن بعد الإطلاع على الدراسة والقبول باختيارات الناقد للمنهج؛ فإذا كان المنهج النقدي سلاحا فعالا في تحليل الخطاب الأدبي وفي سبر أغواره، فإن الأمر حينما يتعلق بالخطاب النقدي وبالخوض في إشكالية المناهج ذاتها قد يكون مختلفا جدا، إذ يصعب على الباحث أن يطمئن إلى منهج بعينه ويتكئ عليه لفهم هذه الإشكالية وحلّها أو لفهم مناهج أخرى وتقويمها، إذ تضمن القراءة المنهجية لكل نوع من أنواع الخطابات أو النصوص الأدوات الملائمة للتحليل بعيدا عن اقتراح وصفة ناجزة وحيدة للمقاربة قد تخون الخصوصيات البنائية والنوعية لتلك الخطابات أو النصوص التي تشتغل عليها، فالدراسة النقدية تتبع منهج خاص بنقد الأدب، وإذا اختار ناقد النقد منهجا آخر غير منهج ناقد الأدب فهو يُقيدها ولا يستطيع ملاحقة الناقد في تصوراته عن منهجه.

نقد النقد هو عملية منهجة للنقد يتم من خلالها تحويل اهتمام الناقد من الأدب إلى مناهج فحصه، فالمنهج هو بمثابة الهاجس لدى ناقد النقد الذي ينطلق من استجابة معرفية للمقروء ويسعى للوقوف على المنهج الذي اتبعه الناقد، حيث ينشغل القارئ بتحديد المنطلقات الأصولية التي تصله بموضوعه المقروء في الوقت الذي تفصله عنه، والتي تمايز بين قراءة هذا القارئ وقراءة غيره والتي تمكنّه من السيطرة على موضوعه والتباعد عن شراك معطياته المباشرة أو مراوغتها، وفي الوقت نفسه تمكنّه من السيطرة على حركة وعيه بهذه المعطيات والكشف من ورائها عن العلاقات التي تنظمها، كما يصعب على القارئ غير المستغرق فيما يقرأ التمييز أو وضع حدود دقيقة بين الواقعة والتأويل أو بين ما يمكن أن يقرأ في النص وبين ما هو مقروء فعلا، إذا فشلت آفاقه المعرفية في الاندماج مع

الرؤى المعرفية التي يحويها النص، وقد أتاحت آليات القراءة هذه الفرصة لناقد النقد ومكنّته من القيام بقراءة واعية تدور على فحص المواقع بين القارئ والمقروء أكثر مما تنطلق من المسلّمات القائمة أو الفرضيات المصادر عليها فتكون الدراسة التي يقدّمها نقد النقد مستبطنة منهاجية تهدف إلى وصل ما تقطّع بين الكتابة والقراءة، بين الكاتب والقارئ، بين الإبداع الأدبي ونقده، ويُلحظ أقوى فأقوى اقتران هذه الالتفاتة من بعض نقدنا الأدبي بإعادة الاعتبار للنقد التطبيقي؛ إذ تُعد الممارسة التطبيقية الغذاء المرتد الذي يحكي صدى النظريات وتحكي النظريات بعضا من صداه، لذلك تولى نقد النقد مهمة تخليص النقد التطبيقي من الطريقة المتبعة في مقاربته والمنحصرة في النقل والتقليد والتلخيص والعرض، والتعليق والحاشية، والاستدراك والتعقيب، ويسعي إلى الضبط المنهجي بإتباع خطوات محدّدة ومستندة إلى معرفة، لأنّ الاقتصار على موضوع القراءة في غيبة الوعي النظري بكيفية القراءة وآلياتها وإجراءاتها ينتهي إلى تجريبية متخبطة تتسم بآلية التقليد أو عشوائية التلفيق، وبالتالي يمكن القول أنّ نقد النقد جاء لوضع حد لـ غلبة البحث المباشر والإجرائي في المنهج، وهشاشة أو مجانية الخلفية الابستيمولوجية المتصلة بمنهج بعينه أو بعامة، وستكون محاولة وضع الحد هذه بمثابة الواقي للإبداع والنقد والحائل أمام الإخلال المنهجي؛ ذلك أنّ نقد النقد يُخلّص النقد من الانسلاخ المنهجي ويسعى، باعتباره قراءة منهجية إلى اجتناب مظاهر العفوية وعدم الدقة في التحليل، وحتى يتحقق ذلك على القارئ أن يقدّم قراءة ناتجة عن الوعي النظري بالموضوع والتأمل النقدي للمنهج ويسعى فيها إلى الحد من تلفيقية المنهج وعشوائية المنظور ونقلية الفهم، ويتخلّص فيها من التحليل غير المؤسس ويحاول الوقوف على الخلفية المعرفية التي يستند إليها المنهج المستعان بأدواته للتحليل، ويُقدّم قراءة نتاج استجابة معرفية، وستكون القراءة المنهجية بهذا الاختيار الابستمولوجي، قد وضعت اليد، نظريا على الأقل، على أسلم السبل الإستراتيجية للخروج بالدرس القرائي من مآزقه الإشكالية، خاصة فيما يتعلق بالمنظور والمنهج والإجراءات والآليات، على اعتبار أنها المستويات التي يلحقها التغيير وبالتالي تستلزم التقييم والمراجعة من قبل ناقد النقد، حيث يرصد من خلال معاينتها الرؤية الجديدة على مستوى الفعل الإبداعي من خلال عدسة التلقي، ثم في بؤرة الحكم النقدي.

الوصف أداة ناقد النقد:

يتخذ ناقد النقد الوصف فعل قراءة يسمح له القيام بممارسته النقدية التي تتولى الحديث عن النقد، أصوله ومناهجه، فتضع له القواعد وتُقيّم له المناهج وتشرّع له الطريق، فيكون بحثه متمايز عن النقد الأدبي، وله كيان منهجي خاص به متعلق بالمعرفة التي تكشف عنها المناهج في صورتها الإجرائية. ويُشترط في الوصف الذي يتخذه ناقد النقد أن يكون منحازا، خاليا من السلبية والإنتقاد، فحيادية الوصف كثيرا ما تقود إلى إعادة إنتاج المادة الموصوفة بطرائق أخرى مثل تقديم الخلاصة أو الشرح والتوضيح للنتائج والأحكام التي توصّل إليها الناقد الأدبي، وبذلك تكون العملية الوصفية التي قدّمها ناقد النقد ملخّصة وشارحة وموضّحة للمتن النقدي ومختلفة عن الممارسة التي قدّمها الناقد الأدبي. وقد دفع هذا الوعي بالاختلاف إلى اقتحام نقد النقد بصفته ممارسة متميزة، وصار البحث عن أسسها ممكنا والرجوع إلى مصادرها مطلوبا، لأنّ ناقد النقد يُعيد قراءة ما قُرئ؛ أي يقوم بعملية تحويل الوصف إلى عملية تُحلّل المتون النقدية، وحتى يتسنى له تحويل الوصف المحايد إلى ممارسة تحليلية للأعمال النقدية ويجعلها تحظى بقدر من خصائص البحث المعرفي والمنهجي، يحتاج إلى اطلاع واسع على مناهج معرفة المعرفة أو ما يُسمى عادة بمناهج البحث في العلوم الإنسانية ويستوعب مبادئها وآلياتها ويعرف الفروقات الحاصلة بينها، لأنّ مهمته معاينة منهج دراسة جعلها الناقد الأدبي نقدية تطبيقية للأدب والأدباء يستعين فيها بمنهج نقدي يتحكم في اختياره الذوق والذاتية، في حين تكون دراسة ناقد النقد نقدية تطبيقية للنقد والنقاد يسعى من خلالها إلى تحقيق أكبر قدر من العلمية والموضوعية، وتكون وسيلته فيها الوصف المحايد، وناقد النقد غير المتخذ الوصف أداته لن يستطيع المساهمة في المعرفة النقدية، حيث أنّ هذه الأداة تسمح بتحويل المكتسبات المعرفية لناقد النقد إلى ممارسة لأنّ مناهج نقد الأدب تُعد بالنسبة لنظرية نقد النقد بمثابة مورد معرفي يغنيها ويمدها باللبنات الأساسية لبناء نفسها، فالمقاربة من أجل ناقد النقد وليس من أجل ناقد الأدب الذي أخرج منجزه بمنهجه الذي اختاره، وليس حريصا على أن يقول عنه مؤرخو المذاهب النقدية، أنّه اتبع هذا المذهب أو ذاك، فالناقد الأدبي لا يتدخل في مهام نقاد النقد ومن الضروري أن يعي الناقد مهمته وحدودها وأنّ مستوى بحثه يحتاج إلى مستوى بحث آخر، وأنّ اللوم المنهجي لا يُضيره، لأنّ النقد حاضرا ونقد النقد غائبا يُحرم فيه ناقد النقد من الاشتغال والمساهمة، فهو محتاج إلى إخراج منجز نقدي يتحكم فيه القبول والرضى بتصورات الناقد عن المنهج الذي استعان به حتى لا يُغيّب من المشهد

النقدي، وناقد الأدب ليس من مهمته معاينة المستوى المعرفي أو وصفه فالعمل متروك لناقد النقد، حيث يمكنّه الوصف من أن يُقدّم خدمة لنظرية المعرفة في مجال البحث في نقد النقد، كما يمكّن من اقتحام عالم الاتجاهات النقدية وكذلك اقتحام أنماط الممارسات التحليلية المصاحبة لها؛ أي يُقدّم خدمة مزدوجة للمعرفة ولناقد النقد أين يُفسح له المجال كي يشتغل في حقل المعرفة ويسهم في إثرائها ويسمح لمعارفه بأن تظهر مع شرط الاستعانة بأداة الوصف، فنقاد النقد أو مؤرخو المذاهب النقدية يضعون الوصف الذي يرونه للطريقة التي اتبعها الناقد كما يشاءون على اعتبار أنّ لكل ناقد طريقته أو منهجه يعاين به الأدب يختاره بناءا على ذوقه ورغبته، وحتى يتسنى لناقد النقد تقديم إضافة ومساهمة للمعرفة النقدية عليه أن يسم ممارسته بالجدالية ومحاكمة المناهج تارة من داخلها وتارة بوضعها أمام سياقات مختلفة تجعل نقد النقد سجالا وكشفا للمعارضة، أي أن يقبل معارف الناقد أولا ثمّ ينطلق في التحاور معها، مستندا على خلفياته المعرفية، مدعما تحاوره المعرفي، متبعا الدقة والموضوعية ومتخليا عن الذاتية وإصدار الأحكام غير المؤسسة.

خاتمة:

من خلال ما سبق يمكن القول أنّ الوعي النقدي هو الذي فتح المجال لظهور نقد النقد، وهو قراءة بانية للنص ومضيئة له، لا يستعين فيها صاحبها بمنهج نقدي، وإنّما ينطلق من تصورات الناقد المنهجية، مما يعني أنّ نقد النقد هو عملية منهجة للنقد يراجع فيها ناقد النقد المستوين النظري والتطبيقي، على اعتبار انّ نقد النقد مراجعة للنقد أوجدها النقد لنفسه، يتكئ فيها على كل ماهو جمالي للوصول إلى المعرفي، إذ يُسهم نقد النقد بهذه المراجعة يفي تحقيق النقلات، والإضافات على تاريخ الفكر، وهو محاولة للتخلص من الممارسة التجريبية العشوائية التي لحقت بعض النقد التطبيقي، فمن غير المعقول أن تُقبل كل الممارسات النقدية المنجزة. ويتحقق ذلك لناقد النقد جراء تعرّفه على تلك الأفكار، فبدون الإدراك المعرفي لا يمكنه تقييم النقد ورسم الأفكار الأدبية والتيارات الايديولوجية للفترة التي كتب فيها النقد الأدبي، هذا من جهة، ومن جهة أخرى لأنّه نقد موجّه للفكر حدسي وتفسيري ومبدع، وبالتالي يمكن لناقد النقد إحداث تغيير أو إضافة لتاريخ الفكر النقدي، ويحقق نقلة فكرية ومعرفية، لم يتمكّن ناقد الأدب من تحقيقها؛ مما يعني أنّ نقد

النقد لا يقتصر على عمليات المراجعة أو التحقق من السلامة فحسب بل هو اضافة للمعرفة.

الاحالات والمراجع:

1- إبراهيم محمود خليل. النقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكيك. ط1. دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة. 2003.

2- أحمد أبو حسن. نظرية التلقي والنقد الأدبي العربي الحديث، نظرية التلقي-إشكالات وتطبيقات، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية-الرباط 1993.

3- اندرسون أمبرت. مناهج النقد الأدبي. ترجمة الطاهر أحمد مكي. مكتبة الآداب القاهرة، 1991.

4- جابر عصفور. قراءة التراث النقدي. ط1. مؤسسة عيبال للدراسات والنشر. 1991.

5- حميد لحميداني. سحر الموضوع-عن النقد الموضوعاتي في الرواية والشعر- ط2. مطبعة آنفو -برانت، فاس. 2014.

6- ديفيد بليتيش. الافتراضات الابستيمولوجية في دراسة الاستجابة. ضمن نقد استجابة القارئ من الشكلانية إلى مابعد البنيوية. تحرير. جين. ب. توميكنز. ترجمة حسن ناظم -علي حاكم. المجلس الأعلى للثقافة. 1999.

7- سيد قطب. النقد الأدبي أصوله ومناهجه. ط8. دار الشروق، القاهرة. 2003. محمد خرماش. النقد الأدبي الحديث وإشكالية المناهج. مقالات ودراسات، منتدى مناهج النقد الأدبي المعاصر.

8- صبري حافظ. أفق الخطاب النقدي. دراسات نظرية وقراءات تطبيقية. ط1. دار شرقيات للنشر والتوزيع. القاهرة، 1996.

9- عبد السلام المسدّي. في آليات النقد الأدبي. دار الجنوب للنشر، تونس. 1994.

10- عبد العزيز حمودة. المرايا المحدبة. من البنيوية إلى التفكيك. عالم المعرفة العدد 232. المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. الكويت، 1978.

11- عبد الله الغذامي. الكتابة ضد الكتابة. ط1. دار الآداب. بيروت. 1991.

12- عبد الملك مرتاض. في نظرية النقد -متابعة لأهم المدارس النقدية المعاصرة ورصد لنظرياتها- ط1. دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع. الجزائر، 2002.

13- فولفجانج إيسّر. فعل القراءة -نظرية في الاستجابة الجمالية. ترجمة عبد الوهاب علوب. المجلس الأعلى للثقافة. 2000.

14- محمد الدغمومي. انتقال المفاهيم: نقد النقد. ضمن سلسلة ندوات ومناظرات رقم 76، انتقال النظريات والمفاهيم. منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط. مطبعة النجاح الجديدة، البيضاء. 1999.

15- محمد حمود. مكونات القراءة المنهجية للنصوص. المرجعيات، المقاطع، الآليات، تقنيات التنشيط. ط1. دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء. 1998.

16- محمد مفتاح. النص: من القراءة إلى التنظير. ط1. شركة النشر والتوزيع –المدارس– الدار البيضاء. 2000.

17- نبيل سليمان. الكتابة والاستجابة. دراسة. منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق. 2000.

18- نبيل سليمان. المتن المثلث. ط1. المجلس الأعلى للثقافة. القاهرة، 2005.

19- نبيل سليمان. مساهمة في نقد النقد الأدبي. ط1. دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت. 1983.